«تطوّر الشعر الفلسطيني المقاوم» بين الموضوعيّة والنقد المزاجي

ثمة نقاش مهم وضروري تفتحه مقالة الاستاذ يوسف اليوسف « تطور الشعر الفلسطيني المقاوم »، المنشورة في العدد « ٩٨ » من مجلة « شؤون فلسطينية » . واهمية النقاش تنبع من أهمية الموضوع الذي تناولته ، وضرورته تحتمها المسارات الفكرية التي اخذتها ، ومن ثم الاحكام النقدية والتاريخية التي خرجت بها .

وحتى نضع الأمور في خطوط أكثر تبسيطا ، فاننا في هذه المقالة سوف نعمد لمناقشة المسائل المختلف عليها ، تحت عنوانين رئيسيين ، اولهما فكري يتناول مفهوم المقاومة ، وما يستتبعه ويترتب عليه ، خصوصا على صعيد الشعر ، وسنلخصه بهذا التساؤل المهم : ما هو شعر المقاومة ؟

أما العنوان الثاني فهو يتناول الجانب التطبيقي ـ التاريخي للشعر الفلسطيني ، والنماذج التي علق عليها الاستاذ يوسف اليوسف في مقالته ، والتي نجد أنفسنا مدفوعين للوقوف امامها طويلا ، باعتبارها شكلت ما يشبه الحكم من جهة ، وباعتبار اننا نحترم صاحبها في ساحة النقد ، ونقدر له اسهامات هامة واصيلة ، خصوصا على صعيد نقد الشعر .

المقاومة ... من الفعل السياسي الى الثقافة

يبدو أن اختلاطاً إلى حد التطابق قد حدث في ذهن الاستاذ يوسف اليوسف بين مفهومي المقاومة والكفاح المسلح . وباعتبار أن المفهوم الثاني ، في مجمل كينونته ، لا يعدو أن يكون احد تفرعات المفهوم الأول ، فان هذا الاختلاط قد جر على دراسة الاستاذ يوسف ارباكات عديدة ، جعلته يحصر شعر المقاومة ضمن مرحلة زمنية ضيقة نسبيا ، بل وجعلته يربط بشكل قسري ومتعسف مرحلة ظهور الشعر الفلسطيني المقاوم بانطلاقة الكفاح الفلسطيني المسلح في مطلع العام ١٩٦٥ . وهو ، وإن وافقنا على اعتباره ـ أي شعر المقاومة ـ صدى للفعل المقاوم ، الا انه ليس صدى ميكانيكيا تحكمه موضوعة الفعل ورد الفعل ، بمعناها الحرفي ، كما تحدث في العلوم الطبيعية . ما دمنا نعتقد أن حركة المجتمع ، وإن اتفقت مع العلوم في القوانين العامة ، الا انها تختلف معها في طرائق التعامل مع هذه القوانين .

واستطراداً في مناقشة هذه المسألة ، فاننا سوف نعود بالقارىء الى الوراء قليلا ، في محاولة لربط الفكرة بتواريخها كما وقعت في الحياة .

إن المقاومة ، بمعناها الواسع والعام في صفوف الشعب الفلسطيني ، لم تتوقف منذ بدأت مؤامرة صهينة فلسطين في مطلع القرن العشرين ، وبالرغم من حدث العام ١٩٤٨ المأساوي ، وما ترتب عليه من دمار البنية الكيانية ـ الطبقية للشعب الفلسطيني ، وكذلك بالطبع ، من دمار المؤسسات الحزبية والسياسية ، الا ان هذه